بسم الله الرحمن الرحيم
خصوصية كتاب تقويم الابدان بتدبير الانسان
لابن جزله البغدادي

هذا الكتاب الطبي التراثي لم ينل ما كان ينبغي له من الشهرة, ليس لانه لم يكن فيه معلومات طبية موسوعية كما كانت كتب الطب المشهورة في عصره (تلك الكتب الثمينة التي اصبحت قبلة لدارسي الطب والاطباء على حد سواء, ففيها شرح وتفصيل لكل مرض من الامراض واسبابه واعراضه ومداواته. واحتوت على كل شاردة وواردة في علوم الطب), إلا ان هذا الكتاب فيه تميز عن كل الكتب الطبية في عصره وهذا ما أردت ان اعرضه, وقبل ذلك لابد من اعطاء صور مختصرة عن مؤلفه والعصر الذي عاش فيه.

مختصر سيرة حياة ابن جزله:-

هو يحيى بن عيسى بن جزله البغدادي من نصارى بغداد, عاش في أيام الخليفة القائم بأمر الله التي انتهت خلافته في 467هـ ثم في خلافة المقتدي بأمر الله. ويعتقد ان ابن جزله توفي سنة 473هـ. وكان قد اتصل بالخليفة المتقدي بأمر الله ولم يتصل بخليفة غيره واسلم على يديه.

كان ابن جزله امام الطب في عصره, ولديه اطلاع واسع بالادوية المفردة والاعشاب والنباتات الطبية حيث الف كتابه منهاج البيان فيها, واشتهر آنذاك باسم صاحب المنهاج وكان ابن جزله انساناً ذا مروءة وعطف وكان يساعد الفقراء والمحتاجين ويعالج اهل حارته مجاناً ويزودهم بالادوية بدون مقابل... وقد اعتمده ابو الحسن القاضي في كتب السجلات لما كان لديه من موهبة حسن الحظ وسبك العبارة, ويعتبر ابن جزله من الاطباء الذين مارسوا اداب مهنة الطب على احسن وجه... ولديه اربعة مؤلفات في الطب وهي:-

1) كتاب منهج البيان وقد ترجم الى اللاتينية سنة 1532م.
2) كتاب الاشارة في تلخيص العبارة لما يستعمل من القوانين الطبية في تدبير الصحة وحفظ البدن.
3) رسالة في فضائل الطب وموافقته للشرع, للرد على من طغى عليه.
4) كتاب تقويم الابدان في تدبير الانسان وهو موضوع البحث.

وكما هو معروف فأن القرن الخامس الهجري الذي عاش فيه ابن جزله كان يعج بالاضطرابات السياسية والعقائدية...وكان هنالك ثلاثة خلفاء في آن واحد, عباسي في بغداد, وفاطمي في شمال افريقيا, واموي في قرطبة, وكان خلفاء بني العباس آنذاك لا يحكمون سوى منطقة بغداد وحواليها... إلا أننا نعلم بأن هذا القرن قد شهد اوج ازدهار الحضارة العلمية العربية الاسلامية وخاصة في بغداد, مما يدلنا على ان علماء المعرفة والحكماء والاطباء كانوا يمارسون علومهم وابحاثهم دون التأثر بالوضع السياسي والعقائدي وتبدل الولاة والمتنفذين ولم يكن ابن جزله إلا واحداً من هؤلاء العلماء الذين استمروا في عطائهم وابحاثهم, وجاء كتابه تقويم الابدان في تدبير الانسان كتاباً مزيداً من نوعه ومميزاً عن غيره من كتب ذلك الزمان, وسندلل على ذلك بصورة مختصرة في هذه المحاضرة.

لابد ان يكون ابن جزله قد نهل العلوم الطبية من الكتب الطبية التي كانت موجودة في وقته, وهي مؤلفات مترجمة عن اليونانية بالدرجة الاولى, واخرى مؤلفه من قبل الاطباء العرب والمسلمين... ومن خلال قراءة مؤلفاته نجد انه قد تأثر فعلاً بالكتب المترجمة باعتبارها الاصل, وانه قد اضاف اليها كثيراً من الشروحات والآراء التي كان قد اكتسبها خلال ممارسته الطبية وملاحظاته على المرضى, وبالرغم من انه استشهد عدة مرات في كتبه بما كتبه جالينوس وابقراط إلا ان تأثره بما كتبه الاطباء العرب والمسلمين تأثر وارد وخاصة كتاب "الحاوي في الطب" لابي بكر الرازي المتوفي سنة 314هـ, وكتاب "كامل الصناعة الطبية" لعلي بن العباس المجوسي المتوفي سنة 384هـ, وكتاب "القانون" في الطب لابن سينا المتوفي سنة 428هـ, وكتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" لابي القاسم الزهراوي المتوفي سنة 400هـ, وكتاب "الصيدنة في الطب" لابي الريحان البيروني المتوفي سنة 430هـ, وهي كتب فيها الكثير من الاضافات على ما سبقها... وكذلك فيها معلومات تشابه ما جاء في كتاب ومؤلفات ابن جزله عن بعض الامراض.

وقد يعني اهماله الاخذ بها عدم التصديق بها... مثال على ذلك: ادرج ابن جزله مرضي الجدري والحصبة كأنه مرض واحد في حين اننا نعرف ان الرازي قد فرق بين المرضيين وهو اول طبيب قام بوصف الفروق بينهما.

ولكن ذلك لا يمنع من ان يكون كتاب تقويم الابدان بتدبير الانسان كتاب فريد من نوعه مميز عن غيره لاسباب ثلاث على الاقل وهي:

اولاً التنظيم:- كتب ابن جزله كتابه باسلوب جديد مبتكر ليستغني به عن الكثير من اطالة الاطباء في كتبهم... فكان كتابه صغير الحجم كثير المعلومات مرتب بحيث يسهل على القارئ سهولة معرفة مضمونه واستخراج مايريد قراءته, وقد ذكر من الامراض التي كانت معروفة آنذاك 352 مرضاً... ووضع لكل مرض إثنا عشر بيتاً:-

* جعل في البيت الاول "اسم المرض".

* وفي البيت الثاني "كثرة حدوث المرض بالنسبة لمزاج المريض".
* وفي البيت الثالث "حدوث المرض بالنسبة لعمر المريض".
* وفي البيت الرابع "زمن حدوث المرض بالنسبة لفصول السنة الاربعة".
* وفي البيت الخامس خصصه "لحدوث المرض بالنسبة للبلدان الشماليه والجنوبية والشرقية والغربية".
* وفي البيت السادس ذكر فيه "سلامة المريض عند اصابته بالمرض" مثال ذلك الاصابة بامراض النقرس واللقوة والدوار "غير مخوف", والاصابة بامراض السكتة والماليخوليا وسرطان الرحم "مخوف", والاصابة بامراض الفالج وورم اللسان والنزف "فمخوف ان افرط".
* وفي البيت السابع فقد ذكر فيه "سبب حدوث المرض".
* وفي البيت الثامن خصصه "لاعراض وعلامات المرض".
* وفي البيت التاسع فقد ذكر فيه "نوع الاستفراغ المطلوب الذي يصلح فيه خلل الاخلاط في الجسم".
* وفي البيت العاشر خصصه "للتدبير الملكي" وهو ما يعطى للمريض الذي لا يستطيع تناول الادوية الاعتيادية من ناحية الذوق والرائحة ولديه الامكانية المادية للحصول على ادوية محسنة وكذلك اغذية طبية.
* وفي البيت الحادي عشر وصف فيه "الادوية والاغذية التي تكون في متناول اي مريض", احتمال ان لا يحصل على ما ذكر في بيت التدبير الملكي.
وكافة البيوت المذكورة اعلاه اخذت الصفحة اليمنى وعلى اليسرى خصص البيت الثاني عشر.
* البيت الثاني عشر وفيه "مفصل التدبير العام والشامل" بما في ذلك الادوية المفردة والادوية المركبة, وكذلك تفاصيل غذاء المريض وما يتجنب او ما يكثر منها واوقات تناولها, وكميتها, وكيفية تحضيرها, واوقات الدخول الى الحمام, والرياضة, والحركة والراحة والنوم, ومتى يستوجب على الطبيب اجراء الجراحة كالكي والقطع.

وقد جعل في كل ورقة ثمان مسارات لثمان امراض, وكتب قسم منها الكلمات بصورة مائلة الى الاعلى, واخرى الى الاسفل مما شكل في الصفحة الاولى اشكالاً هندسية بديعة.
ان تنظيم المخطوط بهذا الشكل يدل على سعة افق وخيال إطلاع ابن جزله, وامكانيته بتوظيف وتركيز المعرفه وتبسيطها باسلوب مبتدع ممن يدعو الى الاعجاب.

ثانياً التصنيف:- كأي كتاب طبي فإن تصنيف الامراض حسب اصابة كل عضو في اعضاء الجسم, وهو نهج اعتيادي, موجود في الكتب الطبية الموجودة في وقت ابن جزله مثل كتاب القانون في الطب لابن سينا... إلا ان هذا التصنيف المقترن بالتنظيم جعل له خصوصية وتميز واضح كما يلي:
* امراض الاطفال: بالرغم من ان الكتب تبحث في امراض الاطفال في الفترة التي سبقت كتاب ابن جزله البغدادي... وابرزها كتاب "رسالة طب الاطفال" لابن بكر الرازي وكتاب "سياسة الصبيان وتدبيرهم" لابن الجزار القيرواني المتوفي سنة 396هـ, إلا ان ابن جزله قد ذكر بصورة واضحة ومتكاملة حول امراض الاطفال واسبابها وعلاماتها المميزة ووقت الاصابة والاستفراغ المطلوب والتدابير الدوائية والغذاء.
* ان طريقة تصنيف الامراض في كتاب ابن جزله اتاح له وضع اللبنة الاولى للاحصاء الطبي, امثلة على ذلك:
عدد امراض الجهاز الهضمي المذكورة في الكتاب 56 بنسبة 15.9% من كافة الامراض وعددها 352 مرضا.
والامراض الجلدية 48 بنسبة 12.2%, وامراض الجهاز العصبي 40 بنسبة 11.2%, وامراض العيون 42 بنسبة 11.9% وهكذا باقي الامراض.
وايضا فإن امراض المريء بعدد 8 تشكل بنسبة 14.28% من امراض الجهاز الهضمي, وامراض المعدة 16 تشكل نسبة 28.57% من امراض الجهاز الهضمي, وامراض الامعاء 16 تشكل نسبة 28.57% من امراض الجهازالهضمي, وامراض الكبد 10 تشكل نسبة 17.85% من امراض الجهاز الهضمي, وامراض البريتون والطحال تشكل نسبة 10.71% من امراض الجهاز الهضمي.
وهكذا بامكاننا ان نجد النسبة المئوية لاي مرض من الامراض وهذا ما يصعب ايجاده في اي كتاب من الكتب التي سبقت كتاب ابن جزله وكذلك احصاءات امراض الشباب والاطفال وامراض الشتاء والصيف.....الخ بالنسبة للعمر والفصول, ولا شك ان ذلك يعتبر انجازا كبيراً مميزاً لهذا الكتاب.

* إلا ان الامر الذي اوضحه الكتاب بصورة افضل واميز هو تصنيفه الامراض بالنسبة للبلدان والمناخ.... ان هذا الموضوع في مثل هذا التصنيف لم يسبقه احد من المؤلفين, فقد ذكر ابن جزله على وجه التحديد اماكن حدوث الامراض اي جغرافية المنطقة... واعطى اهمية واضحة للبلدان والمناخ بوجود امراض اما خاصة بها او تكثر فيها دون غيرها من البلدان والمناخ المختلف عنها.... فامراض المناطق الصحراوية تختلف عن امراض المناطق الجبلية والاثنان يختلفان عن امراض بلدان المستنقعات الرطبة وهذا بالضبط ما يعنى به اليوم (بالجغرافية الطبية).
ولا بد هنا ان نذكر ان الطبيب علي بن رضوان المصري (376-460هـ) له مؤلف باسم "رسالة في الحيلة في دفع مضار الابدان في ارض مصر" يوجز فيه مناخ مصر وهوائها وفصول السنة وعلاقة ذلك بالامراض بصورة عامة ولكن ذلك لم يصل الى تخصيص امراض المناطق كما فعل ابن جزله.

لقد اوضح ابن جزله في كتابه "امراض المنطقة الشمالية 33 مرض, والجنوبية ,104 مرض والغربية 42 مرض, والشرقية 25 مرض, من العراق وايضا المناطق الباردة والباردة الرطبة والمناطق الحارة وامراض المناطق اليابسة.
ولكن ايضاً يضع امراض 8 تكثر في فصل الصيف 140 مرضاً, وفي الخريف 140 مرضاً, وفي الشتاء 109 مرضاً وفي الربيع 100 مرضاً.
من الممكن الاسترسال في توضيح اهمية الكتاب فيما يخص الاحصاء الطبي والجغرافية الطبية وامراض الاطفال وامراض الشيخوخة. ولكن ذلك يعتمد بصورة اساسية على ما كتبه ابن جزله في الجداول المنظمة وايضا بالشروحات التي تدارك بها التركيز الشديد والاختصار للمعلومات الطبية لكي تحتويه البيوت (المربعات) الصغيرة في الجداول فقد خصص ابن جزله في كل ورقة وصفحة من جداول الكتاب حاشيات باسطر قليلة في اعلى الورقة واسلفها ضمنتها معلومات تفصيلية عما جاء في الجداول لتوضح الغامض منها واضافة معلومات اخرى مكملة.

وفي خاتمة الكتاب بسبع ورقات اوجز ابن جزله افكاره التي تتمحور على مايراه مهماً واساسياً في ممارسة مهنة الطب ومن جملتها:
1- حسن المداواة والتدبير لسلامة المريض ويعتمد ذلك على تقوية المناعة الذاتية للمريض قبل اعطاءه الادوية اذا كانت الادوية ضرورية فعلاً وحساب الدواء بصورة جادة بالنسبة لنوع المرض وسببه وقوة المريض ومزاجه الطبيعي ومزاجه الخارج عن الطبع, وسن المريض وعاداته, والوقت من السنة, وتلبد المريض, وحال الهواء في وقت المرض. ثم بعد ذلك يحسب الدواء وكميته ووقته...الخ.
2- يحذر ابن جزله من استعمال الاستفراغ إلا عند الضرورة, وخاصة اذا كانت مناعة المريض ضعيفة حيث يقتضي تقويتها بالاغذية الموافقة للمرض, ثم يضع شروطاً كثيرة للاستفراغ, مما يعطي الانطباع على ان ابن جزله لا يثق او لا يعتمد كثيراً على نظرية الاخلاط المسؤولة عن حصول اعراض الامراض. وكما نعلم ان هذه النظرية تنسب الى ابقراط 370 قبل الميلاد, وبقيت سائدة على الطب العربي الاسلامي ثم الاوربي بعدها الى ان جاء المجهر واكتشفت الجراثيم المسببة للامراض.
3- يحذر ابن جزله من العلاج بواسطة الكي بالحديد ويؤكد على اجراء ذلك من قبل طبيب متمرس بذلك.
4- يؤكد ابن جزله على ان الطبيب يجب ان يكون دقيق الملاحظة, فإن تغير حال من احوال البدن الطبيعية عن عاداته المألوفة وحالته المعروفة انذر ذلك بمرض ويعطى امثلة كثيرة جداً اورد هنا بعضاً منها:
* كثرة الدمامل ينذر باللقوة.
* ثقل الجانب الايمن وبياض البراز ينذر باليرقان عن سده.
* تهيج الوجه وانتفاخ الجفن الاسفل ينذر بالاستسقاء.
* دوام حرقة البول ينذر بقروح المثانة والقضيب.
* دوام حكة السفلى ينذر بالبواسير.
ولا نجانب الواقع اذا قلنا ان كل ما ذكره ابن جزله بهذا الخصوص وعلى وجه التقريب صحيح الى يومنا هذا.
وبالرغم من الاختصار الشديد في معلومات الكتاب, إلا ان الاهتمام الشديد بالغذاء والادوية كان واضحاً, فلكل مرض وصف الطعام المناسب بنوعيه وكميته واوقاته وبعض الاحيان كيفية طبخه.
اما الادوية, فهناك عشرات الوصفات الطبية المذكورة في الكتاب يقتضي الوقوف عندها لدراستها بعناية لكونها تعالج امراضاً لازالت الى يومنا هذا تشكل معضلة تقف الادوية الحديثة عن معالجتها بكفاءة وفعالية تامة.

ارجو ان اكون قد اوجزت بصورة واضحة بان مخطوط ابن جزله البغدادي الموسومة (تقويم الابدان بتدبير الانسان) تتميز بالامور التالية:-
1- التنظيم والجدولة.
2- وضع اللبنة الاولى للجغرافية الطبية.
3- نواة الاحصاء الطبي.

شكراً لحسن الاستماع
والسلام عليكم ورحمة الله
د.سالم مجيد الشماع
2002/4/29

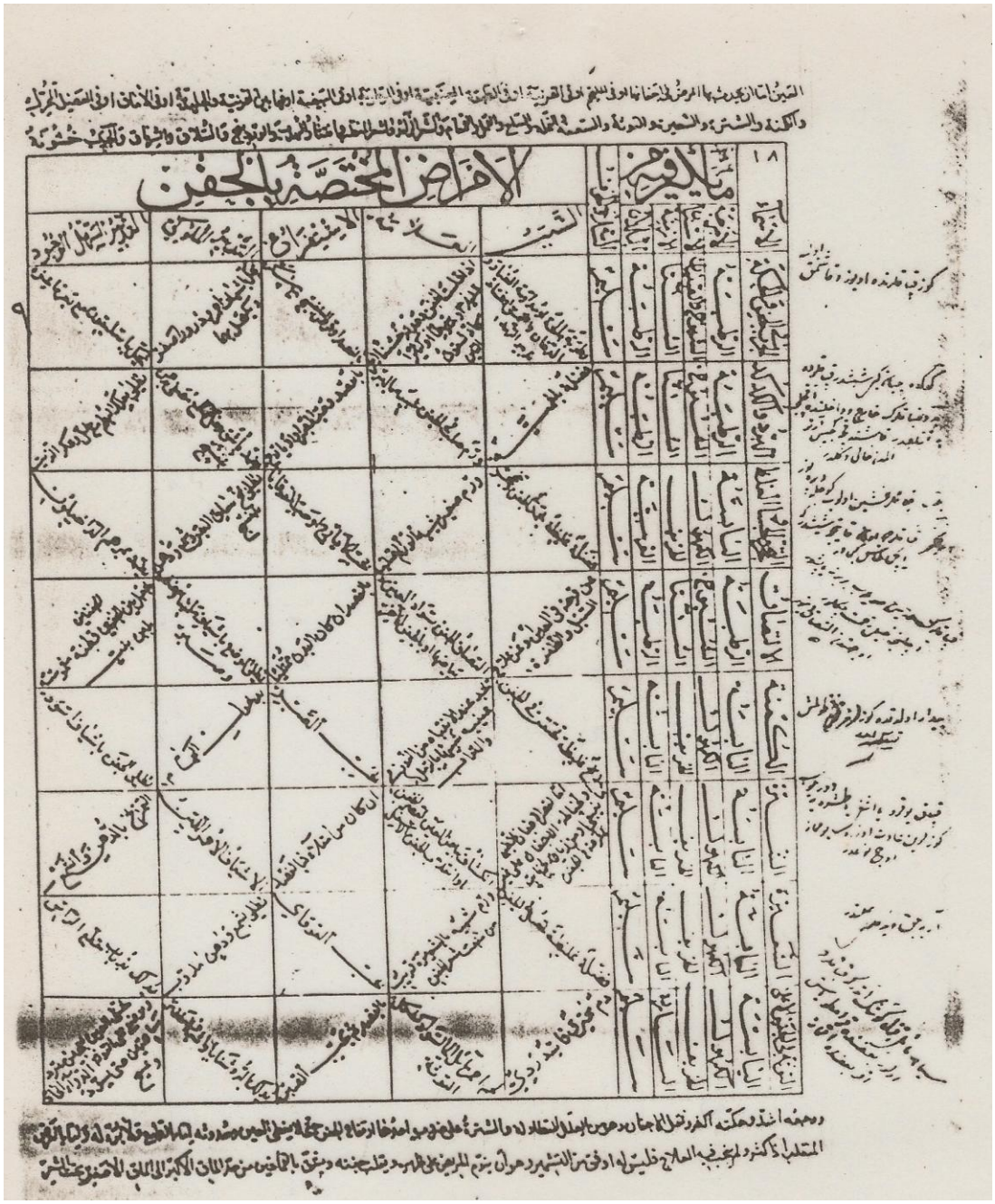

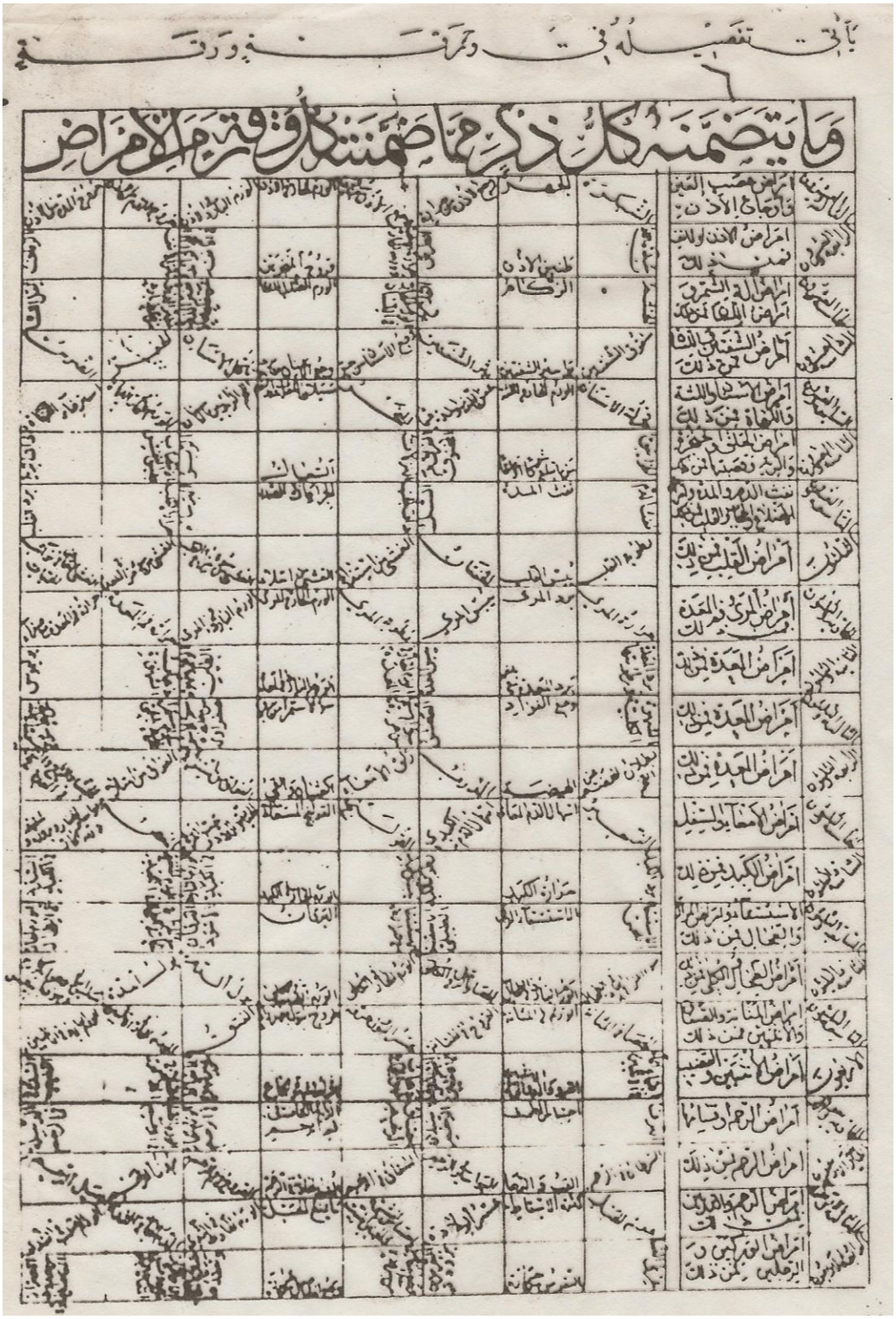
باب تفصيله في جرفة ورقمه
وما يتضمنه كل ذكر مما ضمنه كل فقرة من الأمراض

التدبير الشامل

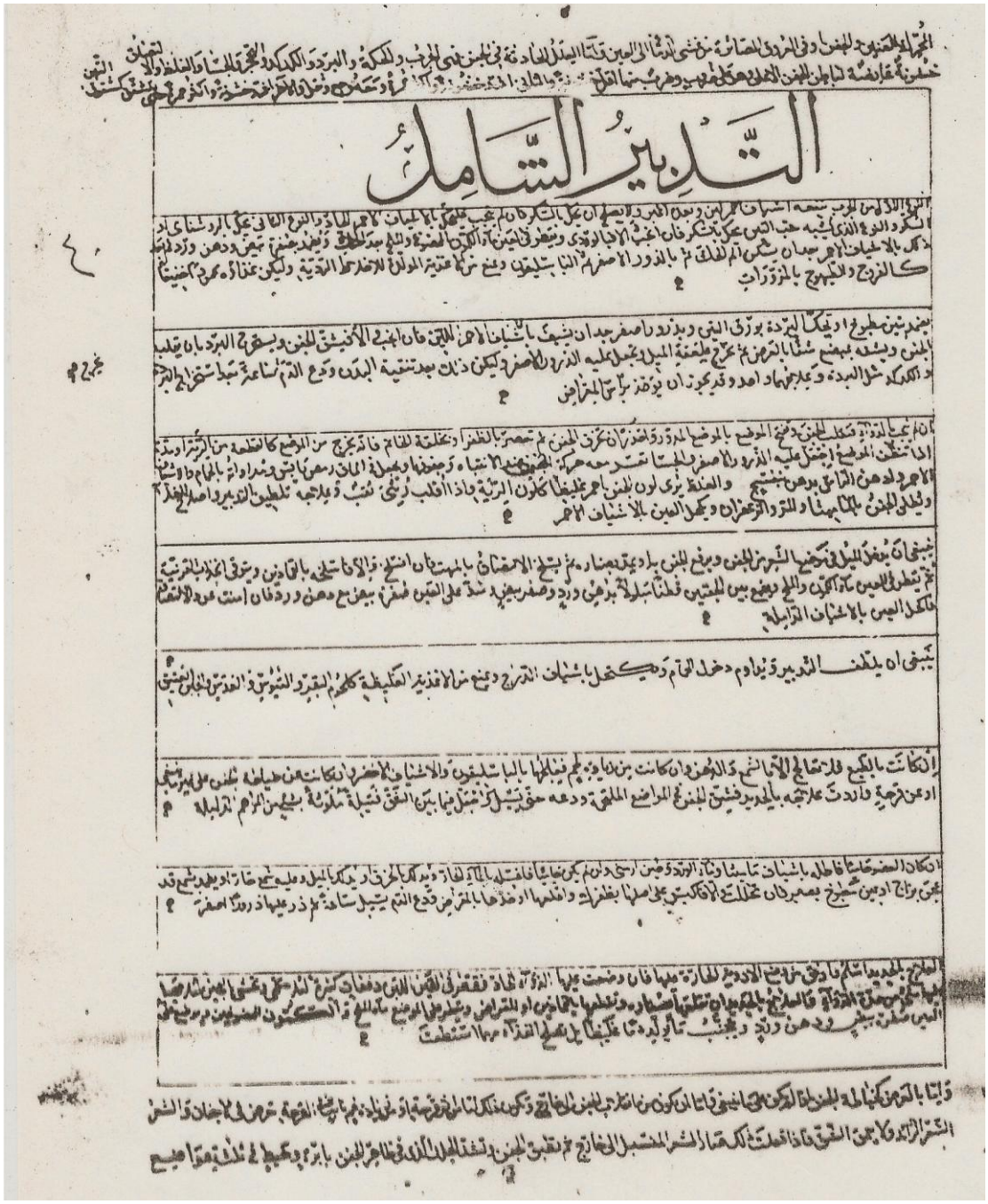

ذكر ما ضمنت كل ورقة من علم الامراض المذكور في هذا الكتاب

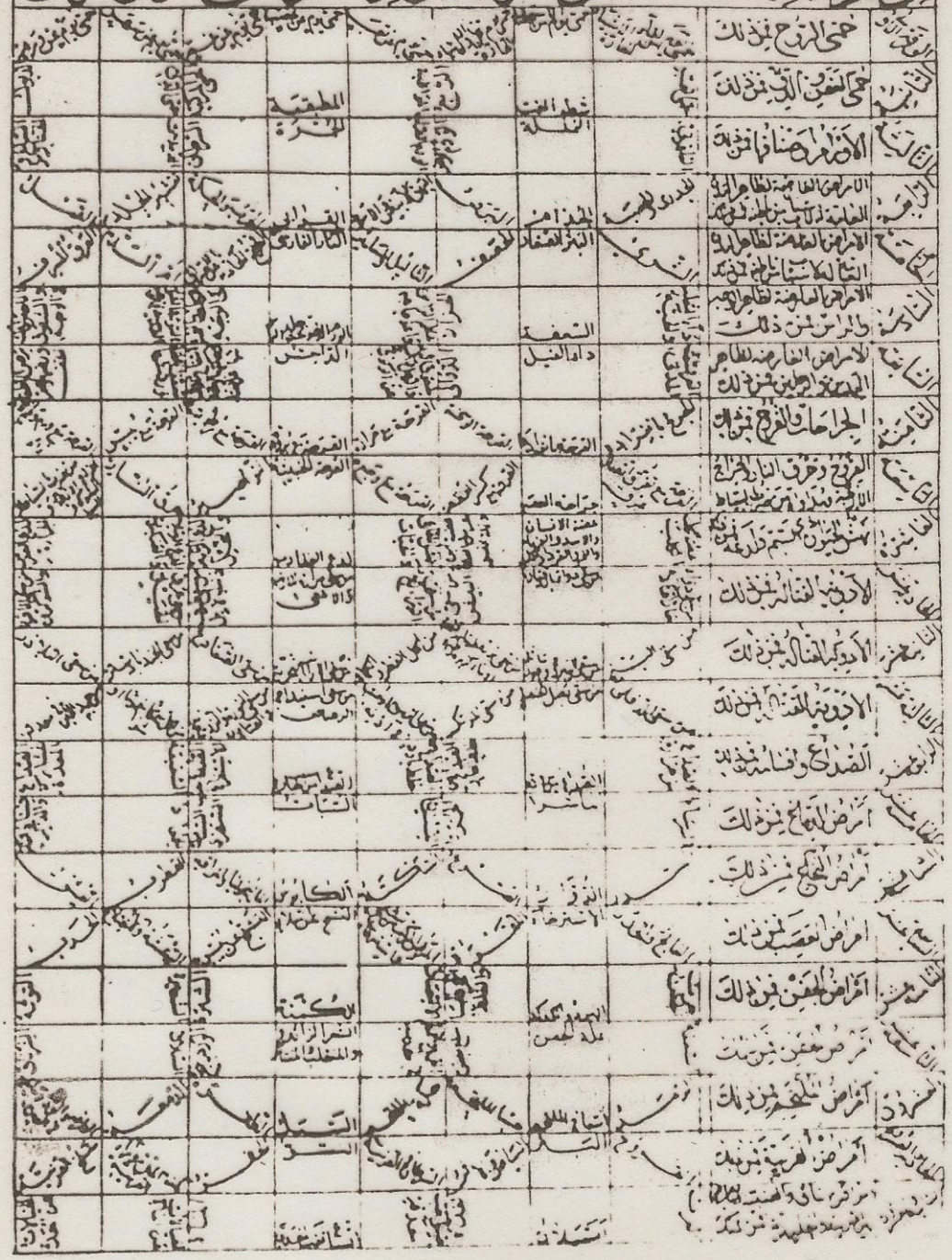

كالحمى واسهلها ما لم تخرج عن مجراها والتي تعرض للامراض الحادثة في الاعضاء الآلية وفي الآلات المركبة من الاعضاء المتشابهة واسهلها ما لم يخرج عن مجراها واشتمال الاتصال الحر المرض
اذا خرج عن اعتداله اما ان يكون في تركيب الاعضاء التي تنسب لما فيها فيكون المرض المتشابه واما ان يكون في تركيب الاعضاء الآلية من الاعضاء المتشابهة فهو المرض
والرطبة واليابسة والمركبة هي الحارة الرطبة والحارة اليابسة والباردة الرطبة والباردة اليابسة والمتركبة اما ان يكون من كيفية جارية على الاعضاء جملة
[illegible] في شكلها او في مجاريها او في مقاديرها باتساع او تضييق او خشونة او ملاسة بالطبع او في تلاشيها او في الكثرة او القلة او في ترتيبها عن نسبة
او نقصان [illegible] [illegible] والذي في وضع الاعضاء [illegible] من موضعها وفساد مشاركته لغيرها [illegible] [illegible] [illegible] والمرض

التدبير الشامل

المداواة العامة لاصناف حمى الروح بمداومة لسبب الحدوث لها فاذا كانت من حر الشمس والسمائم فيصب على الرأس ماء الورد وبسير خل ودهن ورد او ... بزر ... كثير ويجعل ذلك على الرأس ويبرد بالثلج ... فاذا سكنت الحمى ادخل الحمام واغتسل بماء قد طبخ فيه بنفسج ولينوفر ويتناول ماء الشعير مبردا بالسكر او الخبز السميذ مبلولا بالماء المثلوج والمزورة القرع او الماش ويتم بعد الغذاء وينكس

يجعل المحموم في موضع دفيء ويدثر بالثياب الناعمة ويدلك بدنه بالمنديل فاذا سكنت الحمى ادخل الحمام فاذا خرج يدثر ويتغذى بالفراريج والدراريج ... او ... ويشم المرزنجوش فان لم ينفع من البدن اقداما ... مسام البدن ... وكان في ... مفرط ... الى الحمى ... فانه ان ساعدت القوة ... والبقل ... شراب ... فاذا سكنت الحمى فمزورة ...

ان كان صيفا فيستلقي في المواضع الباردة ويشرب ماء ... وماء الرمان مبردا بالثلج والغذاء مزورة القرع والاسفاناخ بدهن لوز او سويق الشعير بماء بارد وسكر طبرزد وان كان شتاء فيكون في موضع معتدل الهواء ويسقى شراب ... فاذا انحطت الحمى فيدخل الحمام ثم يخرج ... ثم يتغذى بالفراريج بماء الحصرم وماء الرمان ويستكثر من النوم

... والسكون في المواضع التي توافق الوقت فاذا انحطت الحمى فليدخل الحمام ويجلس في الابزن ثم يخرج عنه ... لوز ... والبنفسج واللينوفر ثم ... ويتغذى بلحوم الفراريج او باطراف الجداء ... والبقلة ويستكثر من الغذاء ... كثيرة لتخلف عوض المتحلل

بعد سكونه وانحطاط الحمى فليدخل الحمام ويجلس في ابزن الماء العذب الفاتر فان كان الزمان صيفا فليصب عليه الماء البارد ويجمع نفسه ويشم الروائح الباردة ويشرب ماء الرمان والجلاب بالثلج ويتغذى بالبوارد المعمولة بماء الحصرم وماء الرمان والسمك الرضراضي المشوي ويستكثر النوم

... في تسكين همه بالنزه وسماع اصناف الالحان السارة والنغم ... وتدليك بدنه دلكا رفيقا ثم يدخل الحمام بعد انحطاط الحمى ويجلس في ابزن الماء المعتدل الحرارة ويتغذى بالاغذية المعتدلة كلحوم الجداء والحملان والسمك الرضراضي فان كان صيفا فليكن في الروائح الباردة وان كان شتاء ففي موضع دفيء ويستكثر من النوم

... في تنويمه باستنشاق دهن حب القرع المربى بالبنفسج ويضمد رأسه بماء قد طبخ فيه بنفسج ولينوفر وقشور الخشخاش وشعير مرضوض فاذا سكنت الحمى فليدخل البيت الاوسط من الحمام ويصب عليه الماء العذب الفاتر ويدلك بالدهن ويهدأ بعد الحمام ساعة ويغذى بالاغذية ... كالفراريج ويمنع من الجماع وجميع عوارض النفس فانه يجنب المدة

... الورم بالاطلية الموافقة المبردة القابضة كالصندل وماء الورد وماء ... المبردة كما يطلونا بالجلاب وبزر بقلة ويتغذى ... ومزورة الماش والاسفاناخ وماء الحصرم وماء الرمان ويتوقى دخول الحمام والحركة الى ان ينقضي المرض

او في مفاصلها من طرفها ... الاسنان والكدر او في حالة ... في مقطع ... المعقود ... من ذلك سبب حركة ومرض ...
... الآدم ... من داخل البدن او من خارج ... وكالحمى
... الاعضاء ... في البدن ... كانت حمى يوم او في ... كانت حمى الحميات ...
... الاخلاط ... الروح ... او ... في ... ويفسد ...
... الذي لولا ... ان يحدث منها في الاعضاء ... او عن حركة ... كالرياضة ... او ...
الى القلب ثم ينبعث منه الى الاعضاء ... ذكر اسباب ذلك واعراضه